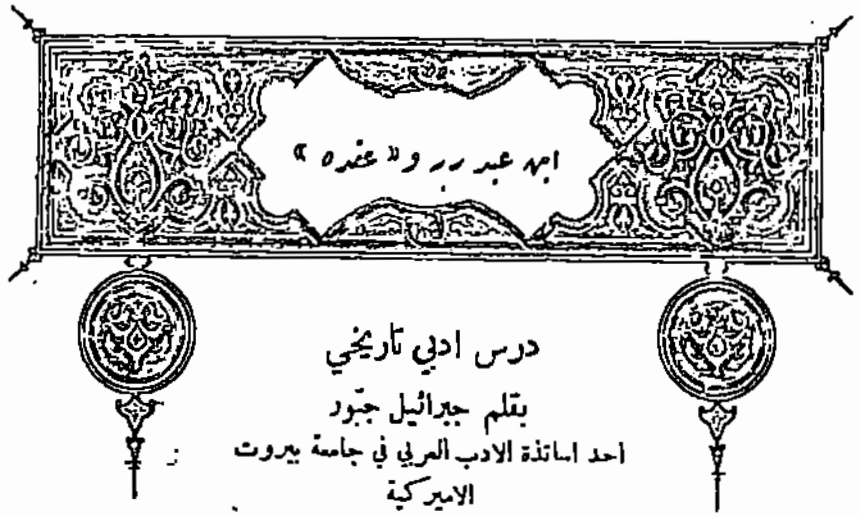

درس ادبي تاريخي
بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت
الاميركية

٩

ما دسّ في العقد بعد صاحبه

لم يسلم العقد مما اصاب كثيرًا من الكتب العربية القديمة من حيث دسّ الاخبار فيها بعد ان يكون قد قضى اصحابها . ذلك ان اصحاب كثير من الكتب الخطية كانوا في بعض الاحيان يضيفون في اواخر كثير من فصولها او ابوابها اخبارًا جديدة تتعلق بالموضوع ، او قد لا تتعلق به ، وشروحاً لبعض ما في المتون. ثم تمرّ الايام ، وينسخ بعض هذه الكتب ، فتدخل الزيادة في الاصل ، ويثبت الشرح في المتن ، ويختلط الامر على المتأخرين ، فينسب كل ما في النسخة الخطية الى المؤلف.

من هذا ما وقع فيه ناشرو الطبعات التي بين ايدينا لكتاب العقد في مصر ، فقد اعتمدوا ، فيما يظهر لنا ، على نسخة خطية دُسّت فيها جملة كثيرة من الاخبار . فاثبتوا الاصل والزيادة في طبعاتهم ، دون ان ينتبهوا الى الامر او يشيروا اليه . والغريب ان بعض هذه الاخبار المدسوسة كانت ظاهرة لا يحتاج امر اكتشافها الى كثير من العناء او التدقيق . فانك اذا قرأت العقد ترى انه قد ترجم فيه في كتاب اليتيمة الثانية[1] لاربعة خلفاء من بني العباس هم الراضي ، والمتقي ، والمستكفي ، والمطيع . وكلهم توفي بعد وفاة ابن عبد

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٥٩ — ٦٠

ربه اي بعد سنة ٣٢٨ ه. وترى في ترجمة الاخير انه قد خلع نفسه سنة ٣٦٣ ه[1]. اي بعد موت ابن عبد ربه بـ ٣٥ سنة. ولا بدّ من الاشارة الى ان اوّل من سبق فنبّه الى دسّ اخبار هؤلاء الخلفاء المتأخرين هو العلّامة Theodor Nöldeke في كتابه *Die Ghassânischen Fürsten aus dem Hause Gafna's.* ، هامش الصفحة ٥٥ ، وقد ذكر ان هذه الاخبار لم ترد في مخطوطتي العقد في München وفي Vienna.

ولم ينكتفِ في وقوفنا على الدسّ في هذا الباب. بل دفعنا الامر الى مراجعة الباب كلّه والنظر فيه ، فاذا هو يستهلّ بعبارة « فرش ذكر خلفاء بني العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم.»[2] وهي المرة الوحيدة التي تستعمل فيها كلمة « فرش » في اول بابٍ ما ، اذ ان استعمالها في العقد كلّه واقع في اوائل الكتب ، لا في اوائل الفصول والابواب. وقد نبه الى ذلك ابن عبد ربه نفسه في المقدمة حيث قال « وقد الفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الاداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب. وانما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب.»[3] زد على ذلك انه ليس في الباب هذا فرش كما في اوائل الكتب ، وانما هو ذكر للفرش ليس الا ، حيث نرى ان الباب يبدأ بابي العباس السفاح دون توطئة او تمهيد ، او «فرش» كما اصطلح ابن عبد ربه ان يقول.

وبحثنا في فرش اليتيمة الثانية نفسها نطلب ذكر هذا الباب فلم نرَ لذلك اثرًا. وكل ما في الفرش من هذه الناحية هو: «قد مضى قولنا في اخبار الخلفاء وتواريخهم وايامهم وما تصرفت به دولتهم ونحن قائلون بعون الله في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وما سيحوز على شيء من اخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جرّدنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذي عليه مدار السياسة ومعادن التدبير وينابيع البلاغة وجوامع البيان هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ومارسوا الامور وجرّبوا الدهور

١) ابن عبد ربه ٣:٥٩ ٢) ابن عبد ربه ٣:٥٢
٣) » » ١:٣

فاحتلوا اعباءها واستفتحوا مغالقها حتى استقرت قواعد الملك وانتظمت قلائد الحكم ونفذت عزائم السلطان . »[1] وظاهرٌ من هذا الفرش ان ابن عبد ربه قد قصر كتابه هذا على اخبار رجال الدولتين الاموية والعباسية دون الخلفاء ، وذكر ما لبعض هؤلاء الرجال من مكانة في الدولة . وليس في الفرش ، كما ترى ، ذكر لخلفاء بني العباس ، بل هناك ما يشير الى ان اخبار الخلفاء قد دُوّنت في الكتاب الذي سبق — « قد مضى قولنا في اخبار الخلفاء وتواريخهم الخ » — وطلبنا فرش الدرة الثانية في ايام العرب ووقائعها ، وهو الكتاب الذي يلي اليتيمة الثانية ، نبحث عن ذكر لاخبار بني العباس فلم نعثر على شيء . وقد تعوّد ابن عبد ربه ان يكتب مواضيع كل كتاب سابق في اول الكتاب الذي يليه . وكل ما رأينا هو « قد مضى قولنا في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه الخ »[2] . وعدنا الى مقدمة العقد نفسه وفيها جدول بكتب العقد وفصولها فلم نرَ في شرحه عن هذا الكتاب سوى « ثم كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة »[3] . وطلبنا معجم البلدان لياقوت حيث ذكر جدولًا لكتب العقد واقسامها الرئيسية فلم نرَ في صدد هذا الكتاب سوى « ثم اليتيمة الثانية في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . »[4] ولم يقتصر الامر ، في هذا الكتاب ، على هذا الباب فحسب بل ان هناك باباً آخر قد سبقه هو « باب من اخبار الدولة العباسية »[5] ليس له ذكر كما ترى في كل المواضع التي اشرنا اليها . وهنا نرى انه يحق لنا ان لا نرتاح الى ان هذه الاخبار عن بني العباس قد دوّنها ابن عبد ربه ، وان نزعم انها ربما قد دسّت عليه بعد موته ، او ان قسماً منها قد دُسّ ونقل القسم الآخر من موضع آخر حيث انه كان الاولى بابن عبد ربه — ان كان قد ألف هذين البابين — حملًا على ما عرف عنه من حسن التبويب والتصنيف وتبعاً لما اخذ على نفسه في مقدمة عقده حيث قال : « ثم قرنت كل جنس منها

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٦٠
٣) » » ١ : ٤
٤) ياقوت ٢ : ٧٠
٥) » » ٣ : ٤٧

الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب »[1] ، كان الاولى به ان يضع هذين البابين في الكتاب السابق — كتاب العسجدة الثانية — حيث يبحث في الخلفاء وتواريخهم وايامهم وحيث نرى باباً خاصاً في اخبار الدولة العباسية[2] .

ولا نستطيع تعيين البلاد التي دُسّت فيها اخبار هؤلاء الخلفاء المتأخرين ولا الزمن الذي دُسّت فيه . انما سنذكر ما يمكن ان يفيدنا من هذه الناحية ففي ترجمة الخليفة الاخير المطيع ذكر لسنة مولده ولسنة مبايعته ولسنة خلعه ، وعند وصول الواضع الى « وتوفي في » نرى بياضاً . وكذلك نرى بياضاً عند « وكان سنه » . فلا يبعد اذن ان يكون وضع هذه الاخبار قد جرى في هذه المدة بين خلع المطيع نفسه وبين سنة موته ، اي بعد سنة ٣٦٣ هـ . غير اننا نعود فنرى ان اكثر المصادر للتاريخ العباسي تهمل ذكر سنة وفاة المطيع وتكتفي بذكر سنة خلعه ٣٦٣ هـ . فابن الاثير وابن خلدون ومسكويه كل هؤلاء اهمل ذكر سنة موته . فلعلّ من دسّ هذه الاخبار في العقد لم يتوفق في العثور على تاريخ موته فترك بياضاً . ومهما يكن من جهلنا هذا الامر فانا نظن ان الدسّ ، ان لم يكن قد وقع زمن المطيع ، فقد وقع زمن الخليفة الذي عقب المطيع ، لا بعد زمنه . والا فما الذي كان يمنع الواضع من ان يذكر اخبار الخليفة او الخلفاء الذين ولوا امر المسلمين بعد المطيع . يقوّي ظننا في ان الدسّ قد وقع زمن المطيع سكوت الواضع عن ذكر سنة وفاة الخليفة القاهر وعمره ، واكتفاؤه بما يلي « وكانت خلافته سنة وستة اشهر وستة ايام وعاش الى ايام المطيع وكانت سنه »[3] ويترك بياضاً . ويقوّيه ايضاً ما سنذكره من دسّ اخبار اخرى عن هؤلاء الخلفاء العباسيين في موضع آخر من العقد لم يتعمّد فيها الواضع خلافة المطيع .

اما هذه الاخبار الاخرى عن خلفاء بني العباس الذين قد تأخر بعضهم عن زمن موت ابن عبد ربه فقد وردت في كتاب التوقيعات والفصول والصدور

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٥١

٣) » » ٣ : ٥٩

وادوات الكتابة واخبار الكتاب[1] . ذلك ان ابن عبد ربه ذكر في هذا الكتاب شيئاً في شرف الكتاب وفضلهم، واورد في هذا الباب اسماء كثير ممن كتبوا للخلفاء ، فابتدأ من النبي وذكر من كتب له ، ثم ذكر الخلفاء واحداً واحداً ومن كتب لهم ، حتى انتهى الى المطيع فذكر من وزر له وسكت عنده[2] . وظاهرٌ ان الذي دسّ هنا قد دسّ هناك ، وان الدسّ قد وقع في زمن واحد ، ولعله لم يتعدّ الوقت الذي ذكرنا.

ولابن عبد ربه فصل في هذا الكتاب المذكور يدور على توقيعات الخلفاء ، فيه بابٌ في توقيعات بني العباس[3] ليس فيه توقيعٌ لخليفة بعد المأمون. والغريب ان الذي دسّ في المواضع السابقة قد فاته الدسّ هنا . وان وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحملنا على الظن ان اكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دُسّت على ابن عبد ربه ، بعد موته. وليس غريباً ان يصدق هذا الظن لاسيما ونحن نعلم ان ابن عبد ربه قد اخذ اكثر اخباره عن كتب مدوّنة لمؤلفين سبقوه اكثرهم لم يدوّن اخبار من عقبوا المأمون . زد على ذلك ان ابن عبد ربه لم يذكر من توقيعات الامراء المختلفين لاحد بعد طاهر بن الحسين[4] ، احد قواد المأمون.

ولعلّ القارئ لا يزال يذكر ما قد اشرنا اليه عند بحثنا في امر تجزئة كتب العقد الخمسة والعشرين، من حيث وصف التجزئة في مقدمة العقد وعدم انطباقها على ما هي عليه كتب العقد الآن . فلقد ذكرنا انه ليس في العقد كله سوى ثلاثة كتب قد ذكر فيها اجزاؤها ، بينما قد اشار ابن عبد ربه في مقدمة العقد الى انه جزّأ كل كتاب الى جزئين . ورأى انه يجوز لنا ان نظن ان كثيراً من الزيادات والتغيير قد طرأ على اواخر الاجزاء حتى ضاع ذكرها في اكثر كتب العقد . واظهرنا عندئذٍ ان كتاب الياقوتة في العلم والادب — وهو احد الكتب الثلاثة التي ذكرت فيها التجزئة — قد الحق في نصفه الاول زيادة وجدت في بعض النسخ ، ولعلّ هذه الزيادة التي وجدت في بعض النسخ

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠١ ٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٧
٣) » » ٢ : ٢٢٦ ٤) » » ٢ : ٢٢٣

ولم توجد في البعض الآخر لم تكن مما جمعه ابن عبد ربه في عقده . ولم يتفرد كتاب الياقوتة بالزيادات فانا نرى في آخر كتاب الواسطة في الخطب زيادة اشار اليها ناشر الكتاب ايضاً في متن العقد نفسه ، قال: «وفي الام زيادة من غير اصلها فاوردتها كهيئتها وهي خطبة لعلي كرّم الله وجهه في هـذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم عيد الفطر جاء رجل الى علي . . . » الخ [1] . وفي آخر الخطبة قال الناشر: « تم الالحاق ». ونرى ايضاً في آخر كتاب الطعام والشراب زيادة اشار اليها ناشر الكتاب في متن العقـد ايضاً قال: « وجدت في بعض النسخ زيادة فاوردتها وهي . . . » [2] ونرى اشارة اخرى الى زيادة رابعة في كتاب الفكاهات والملح ، وهو آخر كتاب في العقد ، عنونها الناشر بـ « زيادة من غير الام »[3] . ولعلّ هناك زيادات اخرى لم يعلمها الناشر فلم يشر اليها كتلك التي ذكرنا في اول هذا الباب والتي تدور على بعض خلفاء بني العباس ، لاسيما وانه لم يطّلع على مختلف النسخ الخطية للعقد في الشرق والغرب.

وهناك امر آخر يدفعنا الى الظنّ في انه قد طرأ على العقد بعض التغيير او التحريف او الزيادة ، هو ان ترتيب كتب العقد في معجم الادباء لياقوت يختلف عما هو عليه في العقد نفسه وفي مقدمته . فالكتاب الاخير في العقد هو اللؤلؤة الثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ويقول ياقوت « وهو آخر الكتاب »[4] . وهذا التغيير يقتضي تغييراً آخر فقد صارت الزبرجدة الثانية عند ياقوت كتاب التحف والهدايا والتتف والفاكهات (كذا) والملح[5] ، وتقع الثانية والعشرين في جدوله لجواهر العقد ، بينما هي الاخيرة (الـ ٢٥) في العقد نفسه وفي الجدول المذكور في مقدمته . ولا نرى بدّاً من الاشارة الى اختلاف آخر هو ان « الهدايا والتتف » قد ذكرت في جدول ياقوت في الزبرجدة الثانية مع « الفاكهات (كذا) والملح » ، بينما نراها في العقد في آخر كتاب طبائع

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٠
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤١٩
٣) » » ٣ : ٤٢٢
٤) ياقوت ٢ : ٧٠
٥) ياقوت ٢ : ٧٠

الانسان وسائر الحيوان[١] . وليس في العقد ايضاً ذكرٌ للتحف التي ذكرها ياقوت واشار الى انها واقعة في الزبرجدة الثانية . واورد ياقوت ايضاً في جدوله ان الفريدة الثانية هي في الهيئات والبنايين والطعام والشراب[٢] ، بينما نرى ان ابن عبد ربه قد اهمل هذا في مقدمة عقده ، وليس في كتاب الطعام والشراب ذكر للهيئات او البنايين[٣] . غير اننا نرى في العقد ، في الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ، بعض الامور عن البنيان واللباس في بابين مختلفين واحد للبنيان ، وآخر للباس[٤] . فاذا كانا ما عناه ياقوت في « الهيئات والبنايين » ، فقد وقعا في غير الموضع الذي ذكره . ويجب ان نذكر ، قبل الفراغ من هذه الكلمة، ان ياقوت قد درس العقد، فيما يقول هو عن نفسه، على استاذ ذكره قال :« وقد اجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقد الحافظ ذو النسبين بين دحية والحسين ابو الخطاب عمر» الخ[٥]

وهذا الاضطراب والتشويش ، او بالاحرى هذا الاختلاف بين جدول العقد وجدول ياقوت ، قد ترك آثارًا تدل على ان ايدي المتأخرين قد لعبت في العقد . فان في الكتاب الذي عثرنا في آخره على باب التحف في الاخبار وذكرنا انها تظهر في غير هذا الموضع بجدول ياقوت ، وبعبارة اخرى ان في كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان امورًا لا يمكن ان يكون قد دوّنها هناك ابن عبد ربه صاحب العقد . فهناك وصف للكعبة فيه ذكر للعلوي الثائر[٦] ، واشارة الى انه لما تغلّب على مكة قلع ذهب الحاجب الايمن من باب البيت[٧] . وفيه وصف للحجر الاسود يظهر منه ان الواصف شاهد عيان قال :« والحجر الاسود على صخرتين من وجه الارض قد نحت من الصخر مقدار ما ادخل فيه الحجر وأشفت الصخرة الثالثة عليها مثل

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٠ و٢٧٥
٢) ياقوت ٢ : ٧٠
٣) » » » ٣ : ٣٨٠
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٧
٥) ياقوت ٢ : ٦١
٦) نذهب الى انه زعيم القرامطة الذي تغلّب على مكة سنة ٣١٧ هـ ، وسنذكر رأي السيد شفيع في انه غير هذا ونعرض لمناقشته فيه .
٧) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٢

اصبعين والحجر املس مجزع حالك السواد في قدر الكف المحنية (كذا) قد لزمن (كذا) جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفي جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظية منه شظيت فجبرت بها وصخر الركن الاسود احرش اكبر من صخرنا قليلاً.» [1] وهناك اشارة اخرى الى ان الواصف شاهد عيان قال: «وحمام المسجد كثير انيس يكاد الانسان ان يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو في لون حمام الابرجة عندنا الا انه اقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه ولقد هتني ذلك فرايتها حين تكاد ان تحاذي البيت وهي مستقلية في طيرانها ذلك تخطت حتى تصير دونه واخذت عن يمينه او يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد الا بيت الله الحرام فانه نقي ليس فيه ولا عليه اثر.» [2]

وظاهر من هذه النصوص ان الكاتب قد شاهد هذه المواضع بعد تغلب العلوي الثائر على مكة واخذه الحجر الاسود، الامر الذي وقع سنة ٣١٧ هـ [3]. ونحن نعلم ان القرامطة اصحاب العلوي الثائر هذا احتفظوا بالحجر الاسود حول عشرين سنة [4]. فلم يرجع الحجر قبل سنة ٣٣٧ هـ. ونحن نعلم مما تقدم من درسنا عن ابن عبد ربه انه مات سنة ٣٢٨ هـ. فكيف يمكن له ان يكون صاحب هذا الوصف او مشاهد هذا الامر، ولم يُرجع الحجر الى الكعبة كما ترى الا بعد موته بنحو ٩ سنوات؟ ولو فرضنا ان وصف الحجر الاسود كان اثر حجة لابن عبد ربه قبل تغلب العلوي الثائر على مكة، فانا نرى في ذكر ابن عبد ربه خبر العلوي الثائر ووصفه حاجب الباب الذي اقتلع ذهبه ما يناقض ذلك. ولو فرضنا جدلاً ان ابن عبد ربه قد حج بعد تغلب العلوي الثائر فوصف ما شاهده واكتفى بنقل وصف الحجر الاسود عن غيره من اساتذته الذين حجوا قبله، او عن غيرهم، لرأينا انه يصعب احتمال وقوعه حيث ان ابن عبد ربه كان وقتئذ قد تجاوز السبعين من عمره، ويصعب على مثله ان يقوم

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٢ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٤

٣) Wensinck, *Kaʿba* [The Encyc. of Islam vol. II, p. 586]

٤) ibid.

برحلة الى الشرق لاسيما وقد كان آدر يدرم في مشيه[1] . وقد ذكر الرواة انه اصيب بالفالج قبل موته باعوام[2] . وكان من الطبيعي ان ينقل مثل هذه الاخبار عن اصحاب بعض المصادر التي استند اليها او عن اساتذته الذين حجّوا الى المشرق، لولا ما تقدم ذكره من امر العلويّ الثائر الذي دخل مكة بعد ان قضى كل هؤلاء.

بقي ان نفرض ان العلويّ الثائر هذا هو غير القرمطي المشهور، ونسلّم مع الدكتور شفيع[3] في انه حسين بن الحسن الطالبيّ الذي ذكر الطبري انه دخل مكة وجماعته الذين لم يبلغوا العشرة في الفتنة عام ١٩٩ هـ ، وقد اخلاها اصحاب الامر من بني العبّاس ودعاه اهل مكة اليها[4] . ولكن الطبري لم يذكر ان حسين بن حسن هذا قد اقتلع باب الكعبة او ذهب حاجبه . وقد ذكره ايضاً الازرقي في كتاب اخبار مكة[5] ، ولكنه لم يشر الى انه اقتلع ذهب حاجب الباب . بل انه ذكر ان الذهب الذي كان على الباب كان مما وضع على زمن الامين ، اي قبل ظهور هذا الطالبي ، وان الصفائح هذه كانت قد ضربت مما كان على الباب قبلاً من زمن الوليد بن عبد الملك ومن الدنانير التي ارسلها الامين نفسه ، وان هذا الذهب بقي على الباب الى يوم الازرقي[6] . وقد مات الازرقي ، ومات قبله جدّه الذي خلف له بعض هذه الاخبار ، بعد زمن الامين وبعد عام الفتنة (١٩٩ هـ) الذي اشير اليه . فقد قضى الجدّ سنة ٢١٩ هـ . والحفيد سنة ٢٤٤ هـ .[7] ومن الطبيعي ان لا يكتب الازرقيان عن الثائر العلويّ القرمطي شيئاً وقد قضيا قبل ان يظهر ، كما وان الطبري لم يصل

---

١) المقري طبعة اوربة II : ٣٠٠ وهامشها: اما طبعة مصر ٢ : ٨٢٢ فالرواية فيها مشوشة مضطربة . غير انها تشير الى انه كان في مشية ابن عبد ربه اضطراب.

٢) ابن الفرضي ١ : ٣٧ ؛ وابن خلكان ١ : ٤٦

٣) شفيع ٤١٦ وما يليها

٤) الطبري III : ٩٨٣-٩٨٤

٥) طبعة ليبزك سنة ١٨٥٨ ، المجلد الاول : ص ١٢٧

٦) 〃 〃 〃 〃 〃 〃

٧) [The Encyc. of Isl. vol I, p. 542] في المقالة المعنونة *Al Azraki*

بتاريخه الى ابعد من سنة ٣٠٢ ﻫ. وقد ذكره ايضاً ابن خلدون في مقدمة تاريخه واشار الى انه يلقّب بالاقطس، وروى انه اخذ ما كان في جبّ مكة من الاموال التي كانت قد خبأت فيه قبل الاسلام[1]. غير انه لم يشر الى ان الاقطس هذا اقتلع ذهب باب الكعبة، بينما نراه قد اشار، في موضع آخر من تاريخه[2]، الى ان ابا طاهر القرمطي الثائر قد «هجم على مكة سنة ٣١٧ ﻫ. وقتل كثيراً من الحاج ومن اهلها ونهب اموالهم جميعاً وقلع باب البيت والميزاب وقتم كسوة البيت في اصحابه واقتلع الحجر الاسود وانصرف به واراد ان يجعل الحج عنده ... وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد ايام المستكفي بذل لهم خمسين الفاً من الذهب على ان يردّوه فابوا وزعموا انهم انما حملوه بامر امامهم عبيد الله وانما يردّونه بامره وامر خليفته.» ولا نظنّ بعد هذا كله ان ابن عبد ربه يشير الى ان الحسين بن الحسن هو الذي اقتلع الذهب. ومهما يكن من الامر فاننا لا نسلّم مع الدكتور شفيع في ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد حجّ الى المشرق، حيث ان المقّري قد ذكر في كتابه «نفح الطيب» اسماء طائفة من الرجال المشهورين الذين كانت لهم رحلة الى المشرق. وقد كان ابن عبد ربه صاحب العقد معروفاً عنده استجلب ذكره في كتابه نحو عشر مرات او ازيد، ونقل ترجمة حياته عن الفتح بن خاقان وذكر كثيراً من شعره، ونسب اليه رجالاً متأخرين ذكرهم، ومع كل هذا لم يذكره بين الذين رحلوا الى المشرق ولم يشر الى شيء من هذا الامر[3]. اضف الى هذا ان G. Le Strange في كتابه *Palestine under the Moslems*. London, *1890*. قد رجع الى العقد ونقل عن ابن عبد ربه وصف الحرم في القدس، فلاحظ ان هذا الوصف يكاد يتفق بالحرف مع وصف معاصر لابن عبد ربه هو ابن الفقيه،

---

١) ابن خلدون ٣٠٦

٢) تاريخ ابن خلدون الجزء الرابع، ص ٨٦

٣) المقري ١: ٣٢١-٦٤٠

ولا يختلف عنه الا ببعض التفاصيل[1] بحيث كاد يستنتج انهما استقيا من مصدر واحد[2]، واشار Le Strange الى انه لا يجزم في ان صاحب العقد قد حجّ وشاهد هذه المواضع[3].

ولا يفوتنا ان نذكر ايضاً انه ليس في العقد كله – اذا استثنينا هذا الموضع الذي يظهر لنا انه مدسوس – اشارة واحدة الى ان صاحبه قد حجّ الى المشرق او تلميح يفيد انه كان لابن عبد ربه هذا رحلة الى الشرق، وكان من الطبيعي لو كانت له رحلة في شبابه او في كبره ان يرى اثراً لاخبارها في عقده، كأن يذكر مثلاً بعض الاخبار عن علماء المشرق ممن كنا ننتظر ان يكون قد لاقاهم او اخذ عنهم اثناء رحلته هذه او سمع منهم او تحدّث اليهم، بينما هو لم يهمل ذكر كثير من الاخبار والروايات التي حدّثه بها اساتذته عن علماء المشرق بعد رحلاتهم وحجتهم.

زد على هذا ان ابن عبد ربه يقول في مقدمة عقده ان ما له في العقد انما هو تأليف الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش لدور كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء.[4] وهذا اقرار صريح منه، مع ما عرف عنه من النزعة الشخصية، يظهر فيه انه لم يتعمدّ لكتابة مثل هذه الابواب التي تدلّ على ان الواصف شاهد عيان.

ولا بدّ لنا اخيراً من الاشارة الى اننا لم نرَ تناسباً بين وصف الحرمين وبيت المقدس وبين سائر الانحاء في اول فصل تفاضل البلدان من حيث الامور التي تشير الى نفس كاتب واحد او اختبارات رجل واحد، بل ان هناك انتقالاً فجائياً من نتف من الاخبار عن مزايا بعض البلدان مسندة الى رواة مختلفين، الى وصف طويل فيه اسهاب وتدقيق عن الحرمين وبيت المقدس.

ولا بد لنا بعد هذا كله من الاشارة مرة ثانية الى ما في مقال السيد

---

١) انظر ص ٤ و١٦٣ من المصدر المذكور (Le Strange)
٢) » » ١٦٠ » »
٣) » » ١٦٠و٤ » »
٤) ابن عبد ربه ١: ٣

شفيع القيم في كتاب « عجب نامه » مما يفيد ان صاحب المقال يقطع ان ابن عبد ربه صاحب العقد قد حج الى المشرق وشاهد الحرمين ووصفها في هذا الباب[1] . وكنا بغنى عن الاشارة الى رأيه هذا لولا ان الرجل باحث قدير ، ولولا ان الكتاب يضمّ مجموعة من الابحاث الشرقية القيّمة لطائفة من كبار المستشرقين ، وقد اهدي كما اشرنا في فصل سابق الى المستشرق الاستاذ برون بمناسبة عيد ميلاده الستيني ، ولا نظن الا ان السيد شفيع — بعد اطلاعه على ما ذكرنا — راجع عن رايه ، ومسلّم ممضا فيما ذهبنا اليه .

ولكن من الذي دسّ هذه الاخبار في فصل تفاضل البلدان على ابن عبد ربه ؟ وما السبيل الى معرفته ؟ يظهر قبل كل شيء ان الواضع اندلسي! ولعلّ هذا الامر قد دفع السيد شفيع في ان يزعم انه صاحب العقد : فلقد قابل هذا الواضع بين بعض الامور التي شاهدها وبين جامع قرطبة قال عن منى : « وبها مسجد اكبر من جامع قرطبة .»[2] وقال في باب صفة مسجد النبي :« . . . ثم فوقه ازار مثل الاول فيه اربعة عشر باباً في صف من الشرق الى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة .»[3] واورد طائفة من المفردات التي يظهر من بحث السيد شفيع — اذا جاز لنا الاستناد اليه — انها اندلسية ولقد رتب لها السيد شفيع جدولاً كبيراً في آخر مقاله[4] .

ونعود فنسأل انفسنا من هو هذا الاندلسي ؟ ولعلّ خير سبيل لمعرفته ان نلتفت الى ما سيلي :

لقد علمنا من درسنا حياة ابن عبد ربه صاحب العقد ان اسمه احمد وان كنيته ابو عمر ، هكذا وردا في فرش درر كتب العقد ، وفي كتب الذين ترجموا حياته بل انا قد وردا في شعر للقلفاط الشاعر هجاه به بحيث لا يبقى مجالاً للشك في صحة ذاك :

---

١) شفيع ٤٢٢ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٥
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٥ ٤) شفيع ٤٢٢

يا عرس أحمد اني مزمع سفرا فودّعيني سرّا من ابي عمرا [1]

غير اننا نرى في كتاب الياقوتة في العلم والادب باباً هو باب جامع الآداب ذكر في اوله « قال ابو عبدالله احمد بن محمد اول ما نبدأ به ادب الله لنبيّه » الخ [2] وقد دهشنا لهذه الكنية ، ودهشنا لورود اسمه في اول الباب ، اذ هي المرة الوحيدة التي يرد فيها اسم ابن عبد ربه في اول باب ما . وانما جرى ابن عبد ربه على ان يذكر اسمه في فرش دور كل كتاب لا في اوائل الابواب ، وقد ذكر اسمه في فرش دار الياقوتة هذه . قال : «قال ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه » الخ [3] . فمن هو ابو عبدالله ذاك ؟

نرى في مقدمة ابن خلدون بحثاً عن الموشحات يذكر فيه ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد ويكنيه ابا عبد الله [4] : فهل كان لابن عبد ربه هذا كنيتان ؟ لقد ظن المستشرق Hartmann في كتابه *Das arabische Strophengedicht I, Das Muwaššah* ان طبعة بيروت من مقدمة ابن خلدون قد اضافت كلمة « ابو » قبل عبد الله وان الاصل كان « عبد الله » . دون « ابو » ، ولكنه يعود فيقول ولعلها كانت في الاصل « ابو عبد الله » ويظهر انه لم يطّلع على هذا الموضع في العقد الذي وردت فيه عبارة : «قال ابو عبد الله» ولم يطلع ايضاً على طبعة مصر لمقدمة ابن خلدون سنة ١٢٧٤ هـ . فانها تدوّن الاسم « ابو عبد الله » لا « عبد الله » ، وكذلك نرى في الطبعة الازهرية للعقد «ابو عبد الله» . وعلى كل حال لقد احسن Hartmann في انه لم يقطع في الامر .

ترى هل كان هناك شخص بهذه الكنية من آل عبد ربه ، وهل لهذا الشخص علاقة في هذا الموضوع الذي نحن بصدده ؟

ذكر المقّري في كتابه نفح الطيب ، في الباب الذي قصره على التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق ، رجلاً من آل عبد ربه كنيته ابو عبدالله وصفه بالكاتب ، وذكر له شعراً ، وروى عنه انه اجتمع في رحلته

---

١) المقري ٢ : ٨٢٢
٢) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٠
٣) ابن عبد ربه ١ : ١٩٨
٤) ابن خلدون ٥٨٤

الى الشرق بالسعيد بن سناء الملك ، واخذ عنه شيئاً من شعره ورواه بالمغرب[1] . وعاد فذكر مرة ثانية في الباب نفسه رجلاً من هذا البيت قال : « ومنهم (اي من الراحلين الى المشرق) ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل ابي الحسن ابن عبد ربه وهو من حفداء صاحب كتاب العقد المشهور . » وذكر بعض الاخبار عنه وروى بعض الابيات من شعره ، ثم ختم ترجمته بقوله : « وتقدمت ترجمة الكاتب ابي عبد الله بن عبد ربه واظنه هذا فليتنبه له بل اعتقد انه هو لا غيره والله تعالى اعلم »[2]

ولعل من الخير قبل اظهار رأينا في الامر ان نلفت النظر الى انه ليس من اللازم ان نتمسك بقول ابن خلدون عن ابي عبدالله هذا انه صاحب العقد[3] ، اذ يجوز ان تكون عبارة « صاحب العقد » زيادة من المتأخرين ، او يجوز انها خطأ من ابن خلدون لم يلتفت اليه ، لاسيما وان ابن عبد ربه صاحب العقد ، كما سنرى في بحثنا عن شعره ، لم يُعرف في نظم الموشحات كما زعم ابن خلدون . ولا بد لنا ايضاً من الاشارة الى عدم تدقيق ابن خلدون في الاخبار التي ذكرها عن صاحب العقد حيث اننا نجد تغييراً عظيماً في الرواية التي نقلها عن العقد من امر المأمون وزواجه ببوران بنت الحسن بن سهل . فان ابن خلدون قد نسب الى المأمون في القصة التي نقلها ابن عبدربه ما لم يذكره هذا[4] . ومما يدل على ان ابن خلدون قد حمل على ابن عبد ربه ما لم يقله ، او انه على الاقل لم يكن مدققاً فيما نقله عنه .

نرى بعد هذا كله انه يجوز لنا ان نظنّ ان لابي عبد الله هذا يداً في هذا الدس . وسنعرض لهذا الشخص المذكور عند بحثنا عما اذا كان صاحب العقد نظم الموشحات من الشعر ام لا !

---

١) المقري ١ : ٢٧٣-٢٧٤

٢) المقري ١ : ٢٨٣-٢٨٤

٣) ابن خلدون ٥٨٤

٤) قابل بين رواية ابن عبد ربه ٣ : ٤٥٣-٤٥٦ ، وما نقله ابن خلدون ٢٠

بقي شيء واحد وهو ان النسخة التي روجعت عند طبع العقد ببولاق ، والتي اشار الناشرون الى انها « المشهورة بالصحة والضبط والمعوّل عليها في الغالب في الجمع والتصحيح »[1] قد كُتبت فيما يظهر بعد موت ابن عبد ربه ، اذ ان في النسخة المطبوعة بين ايدينا عبارات تفيد ذلك مثل « رحمه الله »[2] (الضمير يعود على ابن عبد ربه) ، او « رضي الله عنه »[3] ، او « تغمده برحمته »[4] الخ . وقد يجوز ان يكون الناشرون اضافوها .

وكم كنت اود لو كانت بين يدي نسخ العقد الخطية المختلفة علّني بواسطتها استطيع الجزم حيث ظننت ، او الرجوع عما قطعت . واني لمغتنم هذه الفرصة لتوجيه ندائي الى كل عالم ممن يقرأون هذه السطور ، لاسيما في بلدان اوربة حيث توجد نسخ خطية للعقد ويستطيعون جلاء شيء من غامض هذا الامر ، ان يتكرّم عليّ بارسال ما يرتأيه او يستند اليه ، سواء أكان مطابقاً لما ذهبت اليه او مخالفاً له .

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢ قبل المقدمة
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٤٥ و٣ : ١١٦
٣) » » ٣ : ٦٠ و ٢
٤) » » ١ : ٨٣

Silzungs-Berichte

der

Physikalisch-medicinischen Gesellschaft

zu

WÜRZBURG

Jahrgang 1895 | Der Abonnementspreis pro Jahrgang beträgt *M.* 4. — Die Nummern werden einzeln nicht abgegeben. Grössere Beiträge erscheinen in Sonderdrucken. | N° 9

Verlag der Stahel'schen K. Hof- und Universitäts-Buch- und Kunsthandlung in Würzburg.

Inhalt. *Konrad Rieger*: Demonstration des sogenannten « Vogelkopfknaben » Dobos Janos aus Battonya in Ungarn (Fortsetzung). pag. 129. — *W. C. Rœntgen*: Ueber eine neue Art von Strahlen. pag. 132. — *Wilhelm Wislicenus*: 46. Jahresbericht der physikalisch-medizinischen Gesellschaft zu Würzburg. pag. 142 – Mitglieder-Verzeichniss. pag. 146.

Am 28. Dezember wurde als Beitrag eingereicht:

W. C. Rœntgen: Ueber eine neue Art von Strahlen.

(Vorläufige Mittheilung.)

1. Lässt man durch eine *Hittorf*'sche Vacuumröhre, oder einen genügend evacuirten *Lenard*'schen, *Crookes*'schen oder ähnlichen Apparat die Entladungen eines grösseren *Ruhmkorff*'s gehen und bedeckt die Röhre mit einem ziemlich eng anliegenden Mantel aus dünnem, schwarzem Carton, so sieht man in dem vollständig verdunkelten Zimmer einen in die Nähe des Apparates gebrachten, mit Bariumplatincyanür angestrichenen Papierschirm bei jeder Entladung hell aufleuchten, fluoresciren, gleichgültig ob die angestrichene oder die andere Seite des Schirmes dem Entladungs-apparat zugewendet ist. Die Fluorescenz ist noch in 2 m Entfernung vom Apparat bemerkbar.

Man überzeugt sich leicht, dass die Ursache der Fluorescenz vom Entladungsapparat und von keiner anderen Stelle der Leitung ausgeht.

2. Das an dieser Erscheinung zunächst Auffallende ist, dass durch die schwarze Cartonhülse, welche keine sichtbaren oder ultravioletten Strahlen des Sonnen- oder des elektrischen Bogenlichtes durchlässt, ein Agens hindurchgeht, das im Stande ist, lebhafte Fluorescenz zu erzeugen, und man wird deshalb wohl zuerst untersuchen, ob auch andere Körper diese Eigenschaft besitzen.

Man findet bald, dass alle Körper für dasselbe durchlässig sind, aber in sehr verschiedenem Grade. Einige Beispiele führe ich an. Papier ist sehr durchlässig: 1) hinter einem eingebundnen Buch von ca. 1000

1) Mit « Durchlassigkeit » eines Körpers bezeichne ich das Verhaltniss der Helligkeit eines dicht hinter dem Körper gehaltenen Fluorescenzschirmes zu derjenigen Helligkeit des Schirmes, welcher dieser unter denselben Verhaltnissen aber ohne Zwischenschaltung des Körpers zeigt.

الرسم ١ : اول صفحة من مقالة رنتجن عن اكتشافه الاشعة المجهولة

٤ ٢٢